كمال الدين وتمام الشريعة

محمد عبدالغني مصطفى

يقول الله تبارك وتعالى : »اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً«.

هذه الآية الكريمة، من آخر ما نزل على النبي الأعظم محمد الصادق الأمين عليه من ربه أزكى الصلاة وأتم التسليم، وفيها يبين الله عز وجل، أنه قد أكمل للمسلمين دينهم فوضع فيه التشريع والأحكام، وبين الحلال والحرام وضمنه كل هداية وإصلاح، وناط به كل سعادة وفلاح، فغدا الإسلام ديناً كاملاً في تشريعه، سديداً في أحكامه، رائعاً في آدابه، بالغ الهداية عظيم الأثر في إصلاح الحياة واستقرارها، وتزكية النفوس واستقامتها.

ومعنى ذلك أن المسلمين ليسوا في حاجة أن يتلمسوا الهداية والإصلاح في غير دينهم، ولا أن يستمدوا قوانينهم وتشريعاتهم تهم وأنظمة حياتهم، من قوانين الغير ودساتيره ونظمه، وعندهم كتاب الله وسنة رسوله، وفيهما صلاح الحياة والمجتمع، وأساس الملك العادل، والحكم الصالح، وسياسة الدين، وسعادة الآخرة والأولى.

إن الإسلام نعمة إلهية كبرى، ومنة عظمى، ورحمة عامة للناس أجمعين لأنه دعوة الحق والإيمان، ورسالة الهداية والإحسان، وهو النور الذي هزم ظلام الباطل، وأنقذ الناس من الضلال المبين، وهداهم إلى رضوان الله، وصراطه المستقيم.

وفي ذلك يقول تعالى:»يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين. يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم«.

ولقد أشار سبحانه وتعالى: إلى أن إكمال الدين وإتمام الشريعة نعمة عظيمة أسندها إلى نفسه، تأكيداً لفضلها، فقال: »وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً«.

إن الإسلام دين عقيدة ونظام، وعبادة ومعاملة، وشريعة وقانون، ودستور ودولة، فيجب الإيمان بالإسلام على أنه دين إلهي جامع لخير الدنيا والآخرة، محقق، متضمن أسباب الحياة الطيبة شامل لأنظمة هادية هادفة في السياسة والحكم، والتشريع والقضاء، والأسرة والمجتمع والأمة.

هذا هو الإسلام الذي أكمله الله، وأتم به النعمة علينا، ورضيه لنا مذهباً وديناً، فكيف يصح للمسلمين أن يجحدوا هذه النعمة، وأن لايرضوا لأنفسهم مارضيه الله لهم.

أم كيف يتبغون الهداية والإصلاح، من نظم الباطل ودساتير الضلال وفيهم كتاب الله تتلى آياته، وسنة رسوله ينشر هداها.

»أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير«.

»مالكم كيف تحكمون«

»فبأي حديث بعده يؤمنون«.

ما أفلح المسلمون في الماضي، ولا فتحوا العالم، وحكموا الأرض وساروا على الحق، إلا بتمسكهم بالإسلام، وحكمهم بالقرآن.

لقد وصلوا إلى أعلى مراتب الهداية حينما التمسوا ذلك من تعاليم الدين الذي رضيه الله لهم، ووصلنا نحن المسلمين اليوم إلى دركات التأخر والذل والضلال، حينما نبذنا الإسلام وراء ظهورنا وأسخطنا الله بإرضاء شهواتنا، واتباع أهوائنا..

إن طريق الهداية والإصلاح، والقوة والفلاح، في اتباع الدين وطاعة الله وتقواه، وإن الشقاء والضلال، والخسران والفساد، في معصية الله ومخالفته، وجحد نعمة الإسلام ، وتعطيل الشريعة والأحكام.

»ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين«.

إن الإسلام هو دعوة الهداية والإصلاح في كل عصر وجيل وهو بفضل التعاليم والمبادئ التي حملها ودعا إليها نبراس الهداية والعدالة والإخاء، ودعامة الإصلاح والتجديد والبناء، وهو الذي أوقد مشاعل الفكر، وأضاء ظلام القرون في التاريخ.

»إن الدين عند الله الإسلام«:

ورضي الله عن الفاروق عمر حينما قال: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإن ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله.

إن ما نراه قائماً بين المسلمين، من فجور كبير وفساد عريض، يندى له جبين الحياء، وخيانة في الدين والدنيا، وانعدام الخوف من الله عز وجل ، وانطلاق الشهوات، وطغيان الآثام، وسيطرة الأهواء، قد أدى إلى تعطيل الهداية، وتدمير الإصلاح، واضطراب الحياة، فانهارت قوة المسلمين. وغربت شمس عزتهم، وأصبحوا في هذا الكون أضيع من الأيتام، في مأدبة اللئام، وهذه نهاية كل من يعرض عن هداية الله، العزيز الحكيم، ويرفض صلاح الدين ورشاده، ويجحد فضل الإسلام، الذي أكمله الله عز وجل ، وأتم به النعمة على هذه الأمة، وجعله منهاج الحق، ومنار العدل، وصراط الهدى.

حيث ضمنه الله عز وجل ، ما يكفل للإنسانية تحقيق السعادة والكرامة، والحياة الطيبة في كل زمان ومكان، وهو سبحانه وتعالى، العليم بما يصلح العباد، الخبير بشئونهم وأحوالهم »من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً«.

»إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين«..

(ولن تجد لسنة الله تبديلا)

(ولن تجد لسنة الله تبديلاً)

(ولن تجد لسنة الله تحويلاً)

(ومن أصدق من الله قيلاً)

(ومن أصدق من الله حديثاً«

(هل تعلم له سمياً«.

مسؤولية العلماء في إنجاح مؤتمر الحوار الوطني

علماء: الحوار محطة لتقريب وجهات النظر وتوسيع دوائر الاتفاق بين المتخاصمين

استطلاع/أسماء حيدر البزاز

بلا أدنى شك فإن للداعية والمرشد والعالم دوراً جوهرياً لا يستهان به خاصة في مجتمعنا اليمني حيث يعتبر المنبر والفتوى مصدراً قوياً في التأثير على مختلف شرائح وفئات المجتمع.. وبما أننا نمر بظروف حالكة فإن للعلماء الدور الأهم في إخراجنا من هذا المأزق وتبصرة الناس طرق الحق والصواب خاااصة وإننا إزاء الاستعداد والتأهب لحدث تاريخي هام في حياة وتاريخ اليمن... إنه مؤتمر الحوار الوطني الذي يجمع في ظله كل الأطياف والأحزاب والطوائف المجتمعية والدينية والحزبية، فما دور العلماء في تفعيل هذا المؤتمر والتحضير له وإنجاحه؟!!

بلا أدنى شك فإن للداعية والمرشد والعالم دوراً جوهرياً لا يستهان به خاصة في مجتمعنا اليمني حيث يعتبر المنبر والفتوى مصدراً قوياً في التأثير على مختلف شرائح وفئات المجتمع.. وبما أننا نمر بظروف حالكة فإن للعلماء الدور الأهم في إخراجنا من هذا المأزق وتبصرة الناس طرق الحق والصواب خاااصة وإننا إزاء الاستعداد والتأهب لحدث تاريخي هام في حياة وتاريخ اليمن... إنه مؤتمر الحوار الوطني الذي يجمع في ظله كل الأطياف والأحزاب والطوائف المجتمعية والدينية والحزبية، فما دور العلماء في تفعيل هذا المؤتمر والتحضير له وإنجاحه؟!!

بلا أدنى شك فإن للداعية والمرشد والعالم دوراً جوهرياً لا يستهان به خاصة في مجتمعنا اليمني حيث يعتبر المنبر والفتوى مصدراً قوياً في التأثير على مختلف شرائح وفئات المجتمع.. وبما أننا نمر بظروف حالكة فإن للعلماء الدور الأهم في إخراجنا من هذا المأزق وتبصرة الناس طرق الحق والصواب خاااصة وإننا إزاء الاستعداد والتأهب لحدث تاريخي هام في حياة وتاريخ اليمن... إنه مؤتمر الحوار الوطني الذي يجمع في ظله كل الأطياف والأحزاب والطوائف المجتمعية والدينية والحزبية، فما دور العلماء في تفعيل هذا المؤتمر والتحضير له وإنجاحه؟!! فالله الله باليمن والله الله بما تفتونه وتعلمون به الناس.

المنبر أساس الداء والدواء

أما الشيخ منصور البكالي »إمام وخطيب« فيقول: المنبر إما أن يكون الداء أو الدواء ومن هذا المنطلق والواجب الوطني الملقى على عاتقنا فنحن لا نقصر في خطبنا ومجالس الذكر التي تتخلل ما بين الصلوات في إبراز وتوضيح التحديات والصعوبات التي تواجه الوطن أرضاً وإنساناً ودورنا في البحث عن الوفاق والاتفاق وقبول الطرف والرأي الآخر والوقوف صفاً واحداً ضد كل من يحاول أن يشق صفنا أو يشرخ ويفرق وحدتنا، وهذه مبادئ وثوابت علينا الاتفاق عليها قبل دخولنا مؤتمر الحوار الوطني.

وأضاف البكالي: وهذا ما نحاول غرسه وتبيانه في مختلف المحافل الفعاليات والمهرجانات الدينية، والعلماء مسؤولون تجاه كل هذه القضايا الخطيرة التي إن فشلت لا قدر الله فستهدد أرض الوطن وأمنه واستقراره ولن يكون العلماء في مسلم من ذلك بل هم أول من يقف أمام محاكمة الأجيال اللاحقة .. فالله الله باليمن والله الله بما تفتونه وتعلمون به الناس.

إفشال المؤتمر

للأسف الشديد نسمع بأن هناك أطراف وجهات تسعى لإفشال مؤتمر الحوار الوطني وغسل عقول الشباب بأفكار هدامة وعدائية بأن هذا المؤتمر هو تآمر على الحقوق والمطالب الشبابية وتحاول أن تكرس ذلك في مختلف فعالياتها ومهرجاناتها.. هكذا استهل الشيخ العلامة يوسف الخطيب حديثه حول هذا الموضوع موضحاً:

ونحن بدورنا يجب أن نوضح الحقيقة كاملة لأبنائنا وشبابنا الذين صار لهم اليوم قوة لا يستهان بها في المشاركة في صناعة دولة مدنية حديثة وضع القرارات المستقبلية الهامة في حياة اليمن بأن مؤتمر الحوار هو بمثابة نصر عظيم لهم ولأمتهم .. وحقوقهم ومطالبهم وأفكارهم ستأتي عن طريق الحوار لا السلاح ولا «الحرب» ولا الانشقاق ولا التعصب المذموم حوارا يصب في مصلحة الوطن يخطه التآلف والتسامح بين أفراده وقاداته تطبيقاً لوصف لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «الإيمان يمان والحكمة يمانية».

وبالمقابل دعا الخطيب العلماء والدعاة والمرشدين لإحياء هذه الأيام القادمة في التوعية والإرشاد على أهمية هذا الحوار وتقريب وجهات النظر وتوسيع دوائر الاتفاق بين أفراد المجتمع لأنه هو الحل الوحيد موصل البلاد والعباد إلى طريق الأمان والإيمان.

حضور الإعلام

أما الشيخ والعلامة حسن الأهدل فقد نوه إلى الدور الجوهري الذي يلعبه الإعلام بمعية العلماء قائلاً: مما لا أدنى شك فيه إن العالم والإعلام وجهان لعملة التوعية الدينية والمجتمعية والتحديات المستقبلية للبلاد فإذا أردنا حقا الاستعداد لهذا المؤتمر وإنجاحه وتوعية الشعب بدوره في تأهيل الأنفس بواجبها الديني والوطني والإنساني قبل الدخول تحت قبة هذا المؤتمر علينا التركيز على هذين العاملين الرئيسيين في المجتمع..

وأوضح الأهدل: ومن هنا يتجلى دور وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة صحف ومجلات وقنوات في تغطية تلك الفعاليات والندوات الدينية والإرشادية التوعوية لإيصال الرسالة للمجتمع بأكمله بالإضافة إلى عقد لقاءات مع العديد من العلماء والدعاة والمرشدين والوعاظ مباشرة تبرز ما للحوار الوطني من مصلحة في جمع الشمل وتوحيد الصف وإصلاح ذات البين والتآليف بين القلوب المتناحرة والمتصارعة بالحكمة والموعظة الحسنة والكلمة الطيبة والحضور بقلب صاف «ومتآخي بعيداً عن التحزب والتسييس، بالإضافة إلى استضافة العديد من الشخصيات المجتمعية والتنسيق بينها وبين هؤلاء الشيوخ والعلماء كل في مجاله يدعو ويوعي ويرشد ويصلح حتى يأتي مؤتمر الحوار والأنفس مهيأة بالنتائج الطيبة التي تصب في مصلحة الوطن والمواطن ولا مجال فيها لإنبات الشقاق والنزاع والاختلاف.

ومن هنا سيكون الحوار

ومن جهته يؤكد الشيخ والعلامة جبري ابراهيم حسن على أن الحوار لم يأت به من الغرب ولا من شرع غير شرعنا أو نهج غير نهجنا بل هو فطرة الله في الأرض والشرع جاء يحث على ذلك وينسب إليه فالله سبحانه وتعالى حاور الملائكة بقوله تعالى ((وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء..)) وحاور الشيطان:((يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين)) وهكذا الرسل كانت رسالته ودعواته في الحوار والأخذ والعطاء امتثالا لقوله تعالى: ((وشاورهم في الأمر)).

مبينا: ومن هنا سيكون معنى وتجسيد مؤتمر الحوار الوطني حواراً منطلقاً من مصلحة الأمة يباركه تقبل الآراء والتعاطي معها بكل مصداقية وتسامح ووضوح بعيداً عن أجواء التشاحنات والجدال العقيم والاختلافات التي من شأنها أن تزيد الوضع سوءاً وشقاقاً وتثير العداء والكراهية بين أبناء المجتمع الواحد ولنتذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إني ضامن بيت في الجنة لمن ترك المراء وهو محق)) أي لمن ترك الجدال غير المجدي ولو أنه على صواب وإنما فعل ذلك من أجل مصلحة البلاد أولاً في الله ولله.

وختم الجبري: ومن هنا أدعو جميع العلماء لتوحيد كلمتهم وصفهم أولاً والدعوة إلى الحق بكلمة سواءً لا مراء فيها ولا عداء إنما من أجل الله ثم الوطن، من أجل إنجاح وفعالية وتميز مؤتمر الحوار الوطني الذي هو بإذن الله فاتحة وبادرة خير إن شاء الله تعالى للوطن أجمع.

الاسلام وثقافة السلام

د . سعاد صالح

● من أهم ما يميز الشريعة الإسلامية أنها جاءت خاتمة للرسالات التي سبقتها ومن ثم كانت صالحة للتطبيق في كل عصر من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . قال سبحانه (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) . . وقال جل شأنه: (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا) . ولقد جاءت هذه الشريعة السماوية بمبادئ وقواعد لتنظيم علاقات الأفراد بعضهم ببعض أو علاقات الحاكم بالمحكوم أو علاقات الدولة بالدول الأخرى سلما أو حربا، أو علاقات الكل بالحق تبارك وتعالى . ومن أهم المبادئ السامية التي أرستها هذه الشريعة الخاتمة مبدأ السلم والسلام والتعايش السلمي مع الناس . فالإسلام هو دين المحبة والإخاء، دين المودة والرحمة، دين السماحة والتعاون بين البشر .

والسلام: اسم من أسماء الله الحسنى . . حيث قال تعالى: (هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن)، وعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله (لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام) .

وهو أي السلام تحية المسلمين . قال تعالى (فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) .

وجعل السلام تحية عباد الله الصالحين . قال تعالى: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم . دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) .

وجعله الله سبحانه وتعالى من آداب دخول البيوت . قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون) . وجعله الله تعالى تحية لجميع الرسل . قال تعالى (سلام على نوح في العالمين) الصافات ٧٩ . وقال سبحانه (سلام على إبراهيم) . وقال أيضا (سلام على موسى وهارون)، و(سلام على إل ياسين)، وقال جل شأنه: (وسلام على المرسلين) .

وجعله الله تحية أهل الجنة قال تعالى: (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام) .

والإسلام ينشد السلام في علاقة الفرد بربه، وفي علاقة الفرد بنفسه، وفي علاقة الفرد بالجماعة، وعلاقة الجماعة بالدولة، ثم علاقة الدولة بالدول الأخرى ويبسر تحقيق السلام بدءا من سلام القلب إلى سلام النفس .

ويكفي أن الله سبحانه وتعالى أوجب على المسلم في تشهده في الصلاة قوله: "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين" . ثم يختتم صلاته بالتسليم الذي هو مشتق من السلام .

ولقد وضع الإسلام ضمانات لإقرار السلام في العالم على منهج من الحق والعدل واللذين لو أخذت بهما الأمم لتحقق الخير الكثير لشعوب العالم أجمع . . من ذلك:

١- أن القرآن الكريم وهو دستور الأمة الإسلامية الخالدة قد أرسى مبدأ المساواة بين الناس جميعا، فكانت نظرته إلى الإنسان باعتباره بشرا كرمه الله ورفع من شأنه عن سائر المخلوقات، وجعل ميزان التفاضل بين البشر تقوى الله . يقول تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) . وبذلك يكون الإسلام سباقا إلى إرساء قاعدة الأخوة بين البشر التي تقوم على البر والتقوى . وقضى على روح التعصب التي تقوم على الجنس أو المنزلة أو اللون أو الدين . فلا مجال إذن للتعصب الأعمى الذي يجعل الإنسان يعتدي على أخيه الإنسان . فالناس سواسية، والنفس البشرية واحدة . قال تعالى: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا) النساء -١ فمن اعتدى على نفس فكأنما اعتدى على الناس جميعا . قال سبحانه (من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا) .

وفي هذا دلالة على بشاعة جريمة قتل الإنسان ظلما بغير حق . إذ إن الاعتداء عليه ليس عدوانا على الفرد فقط ولا عدوانا على مجتمع بعينه ولكنه شيء أكبر وأفدح، إنه عند الله سبحانه عدوان على الجنس البشري بأسره من دون تفرقه بين لون وجنس وملة .

٢- رفع شأن الإنسان لذاته لا لاعتقاده، فالآيات القرآنية التي تكرم الإنسان من دون سائر المخلوقات تتناول الإنسان لذاته، لا لاعتقاده من حيث هو تكوين (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) .

● أستاذة الشريعة الإسلامية في جامعة الأزهر